اي وحي ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة وقوله تعالى من ربهم محدث انزاله اي
ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به وبهذا اسقط احتجاج
المعتزلة بان القرآن حادث بهذه الاية وقيل ان الله تعالى يحدث الامر بعد الامر
والاية بعد الاية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من
الامور والوقايع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من فيتزل
السنن والمواعظ سوى ما في القرآن واضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى الا استمعوه اي قصدوا استماعه وهو واجد
الاجد واحق الحق وهم اي والحال انهم يلعبون اي يفعلون فعل اللاعبين
بالاستهزا والسخرية لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر
في العواقب لاهية اي غافلة معرضة قلوبهم عن ذكر الله تنبيه قوله تعالى
وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان او متداخلان ولما ذكر تعالى ما يظهرون
في حالة الاستماع من اللهو واللعب ذكر ما يخفونه بقوله تعالى عطفا على استمعوه
واسروا اي الناس المحدث عنهم النجوى اي بالغوا في اسرار كلامهم وبقوله
تعالى الذين ظلموا بدل من واو واسروا ولا اثما بانهم ظالمون فيما اسروا به او
مبتدا والجملة المتقدمة خبره والمعنى وهو لا اسروا النجوى فوضع المظهر
موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم وقيل جا على لغة من قال اكلوني
البراغيث وقيل منصوب المحل على الذم ثم بين تعالى ما تناجوا به بقوله تعالى
هل اي فقالوا في تناجيهم هذا متعجبين من ادعائه النبوة مع مماثلته في
البشرية هل هذا الذي اتاكم بهذا الذكر الا بشر مثلكم اي في خلقه
واخلاقه من الاكل والشرب والحياة والممات فكيف يختص عنكم بالرسالة
ما هذا الذي جاكم به مما لا تنكرون على مثله الا سحر لا حقيقة له تسبب
عن هذا الانكار قولهم افتاتون السحر وانتم اي والحال انكم تبصرون
باعينكم انه بشر مثلكم فكانهم استدلوا على كذبه بانه بشر بكونه بشرا
على كذبه في ادعاء النبوة والرسالة سحر لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا
ملكا واستلزموا منه ان ما جا به من الخوارق كالقرآن فانكروا حضوره فان قيل لم
اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه اجيب بان ذلك كان يشبه من
التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعادة المتشاور
في خطب ان لا يشركوا اعداهم في مشورة ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن
واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوايجكم بالكتمان قال البقاعي
فيالله العجب من قوم سروا ما عجزهم فلم يجوزوا ان يكون ذلك عن الرحمن الداعي
الى الفوز بالجنات وجزموا انه من الشيطان الداعي الى الهوان باصطلا النيران
والعجب ايضا انهم انكروا الاختصاص بالرسالة مع مشاهدتهم بما يخص الله
تعالى به بعض الناس عن بعض من الذكا والفطنة وحسن الخلايق والخلق

والاخلاق

والاخلاق والقوة والصحة وطول العمر وسعة الرزق ونحو ذلك ولا عجب انتهى
فانها عقول اصلها بارد انتهى كانه قيل فما ذا يقال لهولا فقيل قال لهم ربي المحسن
الي يعلم القول سوا كان سرا ام جهرا كاينا في السماء والارض على حد سوا لانه
لا مسافة بينه وبين شيء من ذلك وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون
وما يعلنون ولا ما يضمرون فان قيل هلا قيل يعلم السر لقوله تعالى واسروا النجوى
اجيب بان القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر والزيادة فكان
اثبت في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم سرهم ونجواهم فان قيل لم ترك الاكد
في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولم يقل يعلم
القول كما هنا اجيب انه ليس بواجب ان ياتي بالاكد في كل موضع ولكن
يجي بالتاكيد تارة وبالاكد اخرى كما يجي بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره
ليفتن الكلام افتنانا ويجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الاية خلاف
اسلوب هذه من قبل انه قدم هنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول
ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصفه
بانه الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله تعالى علام الغيوب
عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرا حفص وحمزة والكساي بصيغة
الماضي بالاخبار عن الرسول والباقون قل بصيغة الامر ثم انه تعالى بين ان
المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله
بقوله تعالى بل قالوا اضغاث احلام اي اخلاط راها في المنام وقال بعضهم
بل افتراه اي اختلقه من عند نفسه ونسبه الى الله وقال بعضهم
بل هو اي النبي صلى الله عليه وسلم شاعر فما جاكم به شعر والشاعر يخيل
ما لا حقيقة له ثم انهم كلهم اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام
ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا المبطل
متحير رجاع غير ثابت على قول واحد قاله الزمخشري ويجوز ان يكون
تنزيلا من الله تعالى لانواع هدرهم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد
من الاول والثالث افسد من الثاني وكذا الرابع افسد من الثالث ثم انهم
لما قدحوا في بعض المعجزات طلبوا اية غيره فقالوا فلياتنا دليلا على
رسالته باية اي مثل ما ارسل الاولون بالايات كتسبيح الجبال وتسخير الاولون
الريح وتفجير الماء واحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وصحة التشبيه من حيث
ان الارسال يتضمن الاتيان بالاية قال الله تعالى مجيبا لهم ما امنت
قبلهم اي قبل مشركي مكة من قرية اي من اهل قرية اتتهم الايات
اهلكناها بالمقترح من الايات لما جاتهم افهم يؤمنون اي لو جيتهم بها
وهم اعتى منهم وفيه دليل على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقا عليهم اذ لو اتى
به لم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم ولما بين بطلان

Copyright © King Saud University